



جهود الجزائريين في الترجمة للأعلام

Algerian Efforts In Writings Biographies

محمد عزلاوي

جامعة زيان عاشور بالجلفة

Azlaoui2008@gmail.com

ملخص -

عني الجزائريون بالترجمة للأعلام والتعريف بالأعلام . وقد ترجموا للأعلام في كتب عامة تجمع كل الأعلام المشهورين على اختلاف اختصاصاتهم واهتماماتهم . كما ترجموا الأعلام في كتب خاصة تعرف أعلام كل فن أو اختصاص، فترجموا للوزراء والأمراء والعلماء واللغويين والمؤرخين والفقهاء والمحدثين .

والمأمل في كتابات المؤلفين الجزائريين يجد أنهم تركوا عددا لا يستهان به من المصنفات التي تعرف بالشخصيات ومنتجاتهم العلمي. ومن كتاب التراجم الجزائريين الذين ألفوا في أدب التراجم نجد : ابن الصغير التهرتي قد ترجم لأعلام الإباضية في القرن الرابع الهجري . كما ترجم الغبريني في القرن السابع للهجرة لعلماء بجاية وخاصة علماء الحديث . في كتابه : عنوان الدراية . وترجم ابن قنفذ القسنطيني خلال القرن التاسع في كتابه الوفيات لكثير من علماء الجزائر في مختلف الاختصاصات. وترجم ابن مريم التلمساني في القرن العاشر للعلماء والأولياء في كتابه البستان . والمهم أن الجزائريين قد أسهموا مثل بقية علماء المشرق والمغرب والأندلس في التعريف بالرجال في كل مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية . ونوعوا في ترتيب الأعلام بحسب الترتيب المعجمي تارة أو بحسب سني الوفاة أو بحسب الطبقات . وتعد هذه التراجم وثائق هامة تحفظ لنا كثيرا من الأشخاص والأحداث والمؤلفات والأحوال السياسية والاجتماعية والعادات والتقاليد .

كلمات دالة -

تراجهم , أعلام , جزائريون , طبقات , منهج

Abstract -

Algerian Efforts In Translation About The Intellectual Historic Men. Algerians Translated About Intellectual Scholars And Enlightened Their Societies About Them, They Have Translated About Them In Public Books That Combined All The Famous Historic Men With Different Specialties And Interests. Besides Algerians Translated To These Men In Private Books Known To Spot The Light About Men Of Every Art And Every Field, They Translated To Ministers, Princes, Scientists, Linguists, Historians, Scholars And Religious Men And Modernists. If We Take A Closer Look To The Writings Of The Algerian Authors We Will Find That They Left A Significant Number Of Works That Identifies Personalities And Their Scientific Productions. There Are A Huge Amounts Of Algerian Translation Books Of Literature Of Translations We Mention: Ibn Al-Saghir Al-Tahrati Was Translated To The Ibadi In The Fourth Century Ah In His Book. Al-Ghubarini Also Translated Seventh-Century Slavism To The Scholars Of Bejaia, Especially Modern Scholars. In The Ninth Century, The Son Of The Qandhini Hedgehog Was Translated Into The Book Deaths Of Many Jazair Scholars In Various Disciplines. The Son Of Mariam Tlemceni Was Written In The Century ... For The Scholars And The Forefathers In His Book Al Bustan. What Is Important Is That Algazairn, Like The Rest Of The Orient, Maghreb And Andalusian Scholars, Contributed To The Definition Of Men In All Spheres Of Political, Social And Intellectual Life. They Were Classified In The Order Of The Media According To The Lexicon Order Sometimes Or According To The Age Of Death Or According To Classes. These Translations Are An Important Document That Preserves Many People, Events, Works, Political And Social Conditions, Customs And Traditions

Key Words -

Biographies , Persons, Algerians, Ranks, Methodologies

مقدمة

التراجم نوع من الكتابة يجمع بين الأدب والتاريخ وهي تؤرخ للأعلام والأعيان وأهل الشأن ، وقد برع المسلمون في هذا اللون من الكتابة وتركوا فيه عددا كبيرا من المصنفات التي تعرف بالأشخاص - على اختلاف اختصاصاتهم وعلومهم - وكذلك أسهم المغاربة في هذا اللون من التأليف .

والجزائريون أيضا كان لهم إسهام معتبر في أدب التراجم من أمثال :
الغبريني وابن مريم وابن قنفذ والونشريسي وغيرهم .

فما هي أهم المصنفات التي تركوها ، وما المنهج الذي اتبعوه في تصنيفها وماهي طبيعة الأعلام التي ترجموا لها وما هي كلماتها العلمية والتوثيقية ؟
وللإجابة على هذه الأسئلة ينبغي استقراء طائفة من النصوص والوثائق التي تبين لنا ما وصل إليه علماء الجزائر من تقدم في العناية بالترجمة للأعلام وتدوين مآثرهم

وقد استعنت بطائفة من المراجع لعل أهمها ما كتبه ناصر الدين سعيدوني في كتابه "من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي" وما كتبه ابن سودون في كتابه "دليل مؤرخي المغرب الأقصى" وما كتبه أبو عمران الشيخ في كتابه "مشاهير علماء المغرب".

وقد استعنت بالمنهجين التاريخي والوصفي التحليلي في تتبع الجزئيات والظواهر واستقراءها وصولا إلى الأحكام العامة والنتائج النهائية في أمر إسهام الجزائريين في أدب التراجم على غرار أعلام المشرق والأندلس وقد تجاوزت صعوبات جمة في الحصول على المراجع والمضام التي تفيد البحث شاكرا لمن ساعدني في ذلك.

أدب التراجم في الأدب العربي

عني المسلمون منذ فجر التأليف في المشرق بالتاريخ للأعلام ، وتسجيل نبذ من حياتهم وانجازاتهم ، وحفلت المكتبات العربية على مدى التاريخ بهذا الصنف من الكتابة الذي يجمع بين الأدب والتاريخ واقتصرت كتابة الترجمة في أول الأمر ، على حياة

الرسول - صلى الله عليه وسلم - وسيرته وغزواته وشماله¹

¹ ينظر التراجم والسير . محمد عبد الغني حسن ، ط 3 ، القاهرة ، دار المعارف

ثم اتجه المؤرخون لكتابة سير الخلفاء الراشدين ، ثم سارت الكتابة في التعريف بباقي الصحابة والعلماء والقضاة ، حتى شملت التراجم أرباب كل فن وعلم ومذهب وصناعة فكانت كتب التراجم ، للعلماء والفقهاء والقضاة والمحدثين ، والأطباء والنساء ، حتى شملت كتابة التراجم كل الأعلام .

ونوعوا في ترتيب الأعلام ، بين كتب عامة تجمع بين الأعلام على أساس الشهرة ، ولكنهم يختلفون في الزمن والمكان ، والحرفة² وكتب خاصة بأعلام كل فن أو حرفة أو صناعة ، وكتب تهتم بالترجمة للأعلام الذين يسكنون موطننا واحدا أو بلدة واحدة .

وكذلك نوعوا في طرق عرض الأعلام ، فرتبهم على القرون ، ورتبهم على السنين ورتبهم على حروف المعجم ، ونسقوهم على الطبقات.

وكان إسهام كتاب الأندلس والمغرب في كتابة التراجم كبيرا يضاها ما كتبه المشاركة وانبرت طائفة من كتاب هذه الأقطار إلى التعريف بأعلامهم ، وتركوا سلسلة من التراجم تمثل حلقات مترابطة بحيث تغطي حياة العلماء ، والأدباء ، والسياسيين وغيرهم على مر حقب التاريخ

تراجم الأعلام في التراث الجزائري

كان علماء الجزائر وكتابها يسهمون في هذا اللون من الكتابة التي تؤرخ للأشخاص وتدون حياتهم وإنجازاتهم ، وخاصة أعلام العلماء والأولياء والصالحين ، لكن كيف كان مستوى هذا الإسهام ؟ ومن أهم كتابه ، وكيف كان موضوع التراجم ومنهج المترجمين في ذلك ؟ وما قيمة هذه التراجم من الناحية التاريخية والعلمية والأدبية ؟

إن المتأمل في المكتبة الجزائرية ، يجد فعلا أن المؤرخين والكتاب قد تركوا عددا لا يستهان به من المؤلفات والمصنفات التي تؤرخ للأعلام ، ابتداء من القرون الأولى للهجرة ، إذ تناولت هذه المؤلفات حياة الفقهاء والعلماء وأرباب المذاهب ، والأدباء واللغويين وأعلام كل فن ، وقد تنوعت هذه المؤلفات بين كتب عامة تترجم لأعلام مختلفين وبين تراجم متخصصة في فئة واحدة مثل العظماء أو

² عبد السلام بن سودة . دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، ط 1 ، بيروت 1988 ص 117

العلماء أو الأولياء وتراجم خاصة بعلم واحد أو شخصية واحدة ، كما ترجمت كتب لأعيان بلد بعينه.

ومن كتب علماء المذاهب: ما كتبه ابن الصغير التهرتي في كتاب " تاريخ الأئمة

الرستميين"³ الذي ألفه حوالي 300 هـ في التعريف بأعيان المذهب الإباضي في الجزائر ، ترجم فيه لطائفة من أئمتهم وأعلامهم منهم عبد الرحمان بن رستم ، وأفلح وأبو بكر ، وأبو اليقظان ، وأبو حاتم يوسف ، وقد قال ناصر الدين سعيدوني في هذا الكتاب : " إن ابن الصغير في كتابه هذا وقف عند سنة 294 هـ ⁴ ويرجح سعيدوني أن ابن الصغير لم يتم تأليف الكتاب إما لهجرته من تيهرت ، أو لوفاته ، أو أن هذا الكتاب الصغير ليس إلا نقولا أو بقايا من الكتاب الأصلي. وهذا الكتاب ، لم يهتم فيه صاحبه بذكر التواريخ أو سني الوفيات والمواليد وإنما غلب عليه الطابع القصصي ، وقد تميز فيه صاحبه بالموضوعية ، فرغم أن ابن الصغير كان مالكيًا ، إلا أنه أثنى على كثير من أعلام الإباضية ، وأن نقده لهم في بعض المسائل كان موضوعيًا ، لم يتجاوز حدود المنهج العلمي. إن هذا الكتاب على صغره كما يقول سعيدون : " يعتبر المرجع الأول في تاريخ الدولة الرستمية ، فهو أقدم وثيقة وصلت إلينا عن الإباضية بتيهرت ⁵

وعنوان الدراية للغبريني من أهم الكتب التي تصدت للتعريف بأعلام القرن السابع وما قبله من أعلام بجاية وصاحبه هو أحمد بن عبد الله علي أبو العباس الملقب بالغبريني نسبة إلى غبرين من أمازيغ الجزائر ولد سنة 644 هـ ، وقد تعلم في بجاية ، وأخذ عن شيوخها معارف عصره العقلية والنقلية وعن شيوخ البلاد التي رحل إليها في المغرب والأندلس اشتغل بالقضاء مدة من الزمن توفى سنة 704 على الأرجح ، وقيل مات مقتولا. من أهم آثاره

³ ناصر الدين سعيدوني ، من التراث التاريخي للغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت دار الغرب الإسلامي 1999 ص 15

⁴ ناصر الدين سعيدوني ، المرجع نفسه ص 15

⁵ ناصر الدين سعيدوني ، المرجع نفسه ص 15

- المورد الأصفي.

- الفصول الجامعة⁶

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء بالمئة السابعة ببجاية⁷

وفي حقيقة الأمر فإن كتاب عنوان الدراية ، لم يكن خاصا بأعلام المئة السابعة ، بل يتضمن فئة من أعلام القرن السادس ، مثل أبي مدين الفاسي والشيخ على المسيلي وعبد الحق الاشبيلي ، ولكن الغبريني قد تعمد إقحام هؤلاء الأعلام ، مبررا ذلك بقوله : " لقرب عهدهم بهذه المائة ، لأنهم كانوا في أعقاب المائة السادسة للتبرك بذكرهم ، لانتشار فخرهم ، وأبدأ بهم رضي الله عنهم ثم أتلوهم بذكر مشيختي ، وأعلام إفادتي ثم أتلوهم بمن سواهم إلى أن يقع الإتيان على جميعهم رحمهم الله"⁸

ولكن الملاحظ إن هذا الترتيب الذي تحدث عنه الغبريني في مقدمة كتابة هذا يختلف عن الكتاب المطبوع إذ أن شيوخه يقعون في آخر الكتاب ، وبقية الأعلام في وسط الكتاب وأعلام القرن السادس في أول الكتاب ، وهو يذكر أن الشيوخ بعد أعلام القرن السادس وبقية الأعلام في آخر الكتاب ولا ندري هل كان هذا التغيير في الترتيب بسبب تعديل أحدثه الغبريني بعد إتمام الكتاب ، أو بفعل النسخ ، أو بفعل محقق الكتاب. والمهم : إن كتاب عنوان الدراية من أجل الكتب وأغزرها مادة وأعظمها فائدة. " ويتميز الكتاب بخاصة بأنه حصيلة مركزة لمادة تاريخية غزيرة ، حرص مؤلفها على جمعها ثم أضطر إلى اختصارها في السنوات الأخيرة"⁹.

كتاب الوفيات لأبن قنفذ القسنطيني

وابن قنفذ هو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الشهير بابن الخطيب ، ينتمي إلى أسرة شغلت مناصب عليا في ظل الدولة الحفصية بين الإمامة والخطابة والإفتاء والقضاء ولد حوالي 740 هـ ، أخذ العلم على أيدي شيوخ

⁶ ينظر معجم مشاهير المغاربة ، أبو عمران الشيخ ، جامعة الجزائر 1995 ص 410

⁷ كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المئة السابعة ، وهو كتاب مطبوع في لبنان ،

تحقيق عادل نويهض ، 1979م وهو مطبوع بالجزائر 2007. م

⁸ الغبريني ، عنوان الدراية ط 1 الجزائر دار البصائر 2007 ص 06.

⁹ ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ص 131.

قسنطينية ومنهم والده ، رحل إلى المغربين الأقصى والأوسط بين (768 - 795 هـ) ، زار خلالها تلمسان ، و " فاس " و " مراكش " ، و " سلا " ، تولى القضاء " بدكالة " بالمغرب ، كما التقى بكبار علماء المغربيين مثل الشريف التلمساني وابن مرزوق الجد ، عاد في حدود 776 هـ إلى تونس وأقام بها مدة تولى خلالها القضاء والإفتاء والخطابة ، واشتغل بالتدريس والتأليف واستفاد من علمائها وحينما رجع إلى قسنطينة ظل على صلة بحكام الدولة الحفصية حتى توفى 809 هـ .

ترك ابن قنفذ مؤلفات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال:

- كتاب الفارسية في الدولة الحفصية ، وهو كتاب في تاريخ دولة بن حفص بتونس على عهد فارس بن عبد العزيز.
- تحفة الوارد في اختصاص الشرف من الوالد.
- ووسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام.
- أنس الفقير وعز الحقيير في ترجمة الولي الصالح أبي مدين الغوث
- وطبقات علماء قسنطينة وهو في حكم المفقود.
- أسنى المطالب في شرف الطالب ، وهو كتاب في علم الحديث ، وهو مطبوع.

كما ترك مؤلفات في الطب واللغة والنحو والبلاغة والعروض ، والمنطق وأصول الفقه وأصول الحديث.

كتاب الوفيات¹⁰ وهو كتاب في التراجم عرف فيه بعلماء الإسلام ابتداء من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم - والكتاب يعتبر تكملة لكتاب أسنى المطالب المذكور سابقا ، وقد جاء في مقدمة نسخة الكتاب المطبوع : كتاب صغير يشتمل على تراجم موجزة للأعلام منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى سنة 807 هـ ، أي قبل وفاة ابن قنفذ بسنتين ، وترجم فيه : ل 139 من علماء المائة الأولى وأكثرهم من الصحابة ، و 85 من المائة الثانية و 56 من المائة الثالثة و 36 من المائة الرابعة و 38 من المائة الخامسة و 51 من المائة السادسة و 46 من المائة

10 ابن قنفذ القسنطيني ، الوفيات ، تح عادل نويهض ، لبنان ، دار الأوقاف الجديدة 1983 م ،

السابعة و 57 من المائة الثامنة ، وثلاث من أعيان المائة التاسعة ، وبذلك بلغ عدد تراجم كتاب الوفيات 511 ترجمة.

والظاهر ، في هذا الكتاب غلبة أعيان المذهب المالكي في الجزائر والمغرب وأكثر تراجم المائة الأخيرة من علماء قسنطينة.

كتاب الوفيات للونشريسي

وصاحبه هو أبو العباس احمد بن يحيى الونشريسي ، صاحب كتاب المعيار المشهور الذي كان مولده سنة 834 هـ تلقى دراسته بتلمسان ، فتعلم على كبار شيوخها ثم انتقل إلى فاس واستفاد من علمائها ونبغ في الفقه والنوازل والفتاوى والأحكام ، إضافة إلى فنون أخرى من العلم ، لكنه تفرغ للفقه ، كما تميز بفصاحة اللسان والقلم والشجاعة الأدبية والشدة في الحق ، عاش حياته الأولى بتلمسان ، ثم انتقل إلى فاس واشتغل بالتدريس ، فخرج علماء كثيرون على يديه ، توفي 914 هـ.

من مؤلفات الونشريس الكثيرة وخاصة في الفقه والشريعة :

- الفائق في الوثائق.

- مختصر أحكام البرزالي.

- إيضاح السالك إلى قواعد الإمام مالك.

- شرح الخزرجية في العروض.

- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب.

11

- وكتاب الوفيات المسمى " وفيات الونشريسي"¹²

وعن هذا الكتاب ، يقول محققه : " فالكتاب يتناول رجال الفقه والحديث

التفسير والتصوف في بلاد المغرب والأندلس منذ عام 701 إلى سنة 912¹³"

وابن مريم التلمساني كان من الذين اعتنوا بالترجمة للأعلام وهو أبو عبد

الله محمد المديوني التلمساني الذي ولد على الأرجح في منتصف القرن العاشر

¹¹ الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب مطبوع

في الرباط ، ببيروت تح محمد حجي 1981 م مقدمة المحقق، ص هـ

¹² الونشريسي ، كتاب وفيات الونشريسي ، منشور بدار نوابغ الفكر بتحقيق محمد بن يوسف

القاضي بالقاهرة 2009 ، ص3

¹³ أحمد الونشريسي ، المصدر نفسه ص 02.

الهجري بتلمسان من عائلة شريفة ، تعلم في بلده مبادئ اللغة والفقه والأخبار والسير، اشتغل بالتدريس ،وقد خلف فيه كرسي والده سنة 985 هـ. ظل يشتغل بالمطالعة وتقييد الأخبار وقراءة الشروح اللغوية والأدبية ، والنظر في مسائل الفقه ، غلب عليه الزهد ، واشتهر أمره وتلمذ عليه كثير من أعلام عصره وكانت وفاته سنة 1002هـ¹⁴

- له مؤلفات كثيرة منها:

كشف اللبس والتقييد عن عقيدة التوحيد.

الحلة السننية في الارجوزة الفرضية.

تعليق على مختصر الرسالة

تفسير بعض ألفاظ الحكم

وله كتاب البستان في ذكر العلماء الأولياء بتلمسان : وهو من اخطر الكتب في أدب التراجم الجزائرية وتضمن هذا الكتاب طائفة من التراجم لمائة واثنين وثمانين عالما من العلماء الذين اشتهروا في عصر ابن مريم ، وقبله من علماء اللغة والفقه والحديث ، ومن الأولياء الصالحين الذين بلغوا منزلة من العلم والصلاح ، وهؤلاء كلهم يرتبطون بتلمسان سواء لكونهم عاشوا فيها أو زاروها أو مروا بها.

ويقول ذلك في مقدمة كتابه : فقد طالعت ما أشرت به علي من ذلك التأليف الأبرك المتضمن جمع أولياء تلمسان وفقهائها الأحياء منهم والأموات وجمع من كان بها وحوزها وعمالها

دوافع كتابة التراجم :

لعل الدوافع إلى كتابة الترجمة كثيرة من أهمها:

- 1 - الاستجابة إلى طلب السلاطين والملوك والوزراء والأصدقاء.
- 2 - الرغبة من المؤلف في تسجيل ملاحظاته وخبراته في تاريخ الرجال وأعمالهم.

3 - الاقتناع بأهمية الموضوع ونفعه لأهل العلم.

4 - الاستدراك على كتاب آخر والتذييل عليه¹⁵

¹⁴ ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ص 299.

5 - تصفية حسابات قديمة ، وذلك للانتقام من أشخاص بذكر عيوبهم ومثالبهم ونقدتهم¹⁶

وقد تكون دوافع أخرى تحدد الهدف من التأليف الذي قد يتغير بحسب الكاتب وموضوع الكتاب والسبب لتأليفه. وبالتأمل في المؤلفات الجزائرية التي تم الاطلاع عليها فإن الهدف لا يكاد يخرج عن أمرين:

أولها : التماس التبرك والانتفاع بفضل العلماء والصالحين.

ثانيها : الاستجابة لطلب الحكام والأصدقاء.

فالدافع الأول من الممكن أن نجد له مثلاً في " كتاب عنوان الدراية " للغبريني الذي ذكر في مقدمته .

أنه قصد في ترجمته لبعض الشخصيات من القرن السادس إلى ا لتبرك بالأولياء والصالحين ، " وقد رأيت أن أصل بذكر علماء هذه المائة ذكر الشيخ أبي مدين والشيخ أبي علي المسيلي والفقهاء أبي محمد عبد الحق الأشبيلي - رحمهم الله ورضي عنهم - لقرب عهدهم بهذه المائة ، لأنهم كانوا في أعقاب المائة السادسة للتبرك بذكرهم¹⁷

وكذلك ابن مريم في " كتاب البستان " يذكر هذا الدافع من بين دوافع أخرى متعددة لتصنيفه للكتاب ، وهذا الدافع هو جلب الخير والبركة بالتحدث عن الأولياء والصالحين والعلماء يقول في ذلك : " وقد نص العلماء على أن ذكر العلماء وحكايات الصالحين

واقتصاص أحوالهم انفع للنفس بكثير من مجرد الوعظ والتذكير بالقول"¹⁸ و الدافع الثاني الذي طالما حدا بالكتاب إلى التأليف في التراجم وغيرها . في كتابات الجزائريين ، هو الاستجابة لطلب الغير من الأصدقاء والخلان والشيوخ ونلاحظ هذا في كتاب ابن قنفذ القسنطيني الذي سماه " أنس الفقير وعز

¹⁵ ابن مريم ، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان مطبوع بالجزائر ، المطبعة الشاعلية 1908 م ، ص04

¹⁶ ابن مريم المصدر نفسه ص 05

¹⁷ داليا عبد الستار الحلوجي ، كتب التراجم في التراث . ط 1 ، القاهرة كلية الآداب 2008 ص 91

¹⁸ الغبريني ، المصدر السابق ص 06

الحقير " الذي ورد في مقدمته قوله : " وبعد فإن الفقير إلى ربه أحمد بن الخطيب ، وفقه الله ولطف به قال رغب إلى من يكرم علي من بعض إخواني في الدين ، في تقييد شيء من كلام الشيخ أبي مدين نفع الله به وبأمثاله المسلمين " ¹⁹.

ولا يخرج ابن مريم في كتابه " البستان " عن هذا الغرض وقد ذكرت سابقا أنه أشار في مقدمة البستان إلى أكثر من دافع فهو كذلك ألف الكتاب نزولا عند رغبة أحد الأصدقاء و أولياء النعمة وهو يشير إليه دون أن يذكر اسمه أو صفته يقول : " فقد طالعت ما أشرت به علي من ذلك التأليف الأبرك المتضمن جمع أولياء تلمسان وفقهائها الأحياء والأموات " ²⁰.

وكذلك فعل ابن الصغير من قبله في تراجم الاباضية في الكتاب المسمى " تاريخ الأئمة الرستميين " فهو يشير إلى أنه ألفه تلبية إلى وعد قد قطعه. ²¹ - وأما كتابا الونشريسي وابن قنفذ في الوفيات فهما لم يشيرا إلى الدوافع التي كانت وراء التأليف ولكن قد لا تخرج عن المسوغات السابقة التي تم ذكرها.

أشكال التراجم :

إن أشكال التراجم كثيرة متعددة منها التراجم العامة التي تجمع كل الأعلام دون النظر إلى اختصاصاتهم أو بلدانهم أو أوزانهم ، وفي هذا النوع تجتمع كل الأصناف من كل البقاع وفي كل الأزمنة ، وإنما الجامع لهم هو الشهرة ، وهناك تراجم متخصصة وهي تكون لفئة واحدة اشتركت في علم واحد أو اختصاص ، أو حرفة واحدة ، أو تميزت بصفة واحدة كالقضاة ، أو الفقهاء ، أو الأطباء ، أو المحدثين ، أو النحاة ، الخ.

ومن أنواع التراجم ما يسمى بالتراجم البلدانية ، وهي تهتم بالترجمة لأعلام بلد بعينه وهي على نوعين:

¹⁹ ابن مريم المصدر السابق ص 06

²⁰ ابن قنفذ القسطيني ، أنس الفقير وعز الحقير ، تح محمد الفاسي ، الرباط جامعة محمد

الخامس 1965 ص 01

²¹ ابن مريم المصدر السابق ص 05

- قد تكون عامة ، لكل أعلام ذلك البلد على اختلافهم
- وقد تكون خاصة بصنف معين لعلماء ذلك البلد.
- وقد تكون التراجم مفردة ، تقتصر على شخصية أساسية ، تكون هي محور الترجمة.

وقد وجدت في تراجم الجزائريين نماذج لكل هذه الأصناف.

1 - **التراجم العامة** : ويمكن أن نضع تحت هذا الشكل ، كتاب الوفيات لأبن قنفذ ، وفيات الونشريسي ، وذلك أن الكتاب الأول يترجم لأعلام كثيرين في مدى زمني يمتد منذ وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - سنة 11 هـ إلى غاية 807 هـ ، وهي تغطي حياة أجيال عديدة فيها تراجم للصحابه ، وأخرى للتابعين وتراجم للعلماء ، وتراجم للمشاركة وتراجم للمغاربة ، وتراجم للنساء ، وبالتالي فالكتاب يدخل تحت طائفة التراجم العامة. ولا يبتعد كذلك كتاب وفيات الونشريسي عن هذا الصنف ، فهو يترجم لأعلام كثيرين يمتدون عبر أكثر من قرنين من الزمان ، ويختلفون في الاختصاص والعلم والمكانة.

2 - **التراجم البلدانية الخاصة بالعلماء** : منها كتاب عنوان الدراية للغبريني الذي جعله لعلماء بجاية وهو مقيد بالمكان الذي هو بجاية ومقيد بالزمان الذي هو المائة السابعة والعلماء الذين ذكرهم كان يغلب عليهم علم ، واحد هو علم الحديث مع إتقانهم لعلوم أخرى. وكتاب البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان : ربط فيه ابن مريم بين تلمسان وبين قائمة الأعلام المترجم لهم . فهم أهل تلمسان الذين سكنوها أو رحلوا عنها أو مروا بها أو انتسبوا إلى المدن الواقعة في جوارها وتحت حكمها فهو يحدددهم كما يلي : " من كان بها وحوزها وعمالتها " ²²

التراجم المفردة

هي كثيرة في التراث الجزائري ، فقد كتب المؤرخون ، والمؤلفون في شخصيات بعينها وخاصة من الأولياء ، وكبار العلماء والمشهورين من شيوخ الطرق والزوايا والسلطين نذكر من ذلك كتابين.

- أولهما هو : " أنس الفقير وعز الحقيير " لأبن قنفذ القسنطيني وهو في الترجمة لشخصية أساسية هي شخصية أبي مدين الفاسي دفين تلمسان فتناول

²² ناصر الدين سعيدوني المرجع السابق ص 14

صفاته وكراماته وأحواله ، وتناول معه بعض الأولياء الآخرين مثل ابن عاشر ومؤمنة التلمسانية وغيرهما.

- وثانيهما : " كتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن " لابن مرزوق الخطيب²³ أشهر أعلام المغرب في القرن الثامن الهجري (ت 781هـ) قام ابن مرزوق الخطيب في هذا الكتاب بالحديث عن السلطان أبي الحسن المريني ، اذ كان ابن مرزوق كاتباً عنده ووزيراً له ، تناول سيرة السلطان وأخلاقه ومواقفه وإنجازاته في الجهاد وبناء الزوايا والمدارس والمساجد والعناية بأهل العلم والصالح .

والمهم أن ابن مرزوق أفاض في سيره السلطان، وحياته وقد ذكر معه وزراءه وأعوانه أثناء الترجمة له.

منهج كتاب التراجم في ترتيب الأعلام :

للتعريف بطائفة كبيرة من الأعلام يتطلب منها دقيقا في ضبطهم وتسهيل البحث عنهم داخل الكتاب ، وفعلا قد اعتنى كتاب كبار التراجم في المشرق بوضع طرق مختلفة لترتيب الأشخاص المترجم لهم من أمثال ابن خلكان والصفدي وابن حجر و السيوطي والشوكاني وغيرهم ، وكذلك أهل الأندلس والمغرب مثل ابن بشكوال ، وابن الزبير وعبد المالك المراكشي وغيرهم. وكذلك اتخذ كتاب التراجم من العلماء الجزائريين طرقا لترتيب أعلامهم ، وقد رتبوا على الوفيات وعلى القرون ، وعلى الطبقات وعلى حروف المعجم .

أما الترتيب على الطبقات : عند القراءة لمصادر هذا المقال يلاحظ أن فئة من الكتاب رتبوا أعلامهم وفق الطبقات حسب العلم الذي تخصصوا فيه أو الصفة التي اشتركوا فيها. مثل : كتاب " عنوان الدراية " للغبريني حيث رتبه إلى فئات

- الفئة الأولى : هي بعض أعلام القرن السادس.

- الفئة الثانية : هو بقية علماء القرن السابع.

- الفئة الثالثة : هم العلماء الذين أخذ على أيديهم العلم ، وقد قسم هذه

الفئة إلى صنفين.

²³ ابن مريم المصدر السابق ص 05

- العلماء الذين أخذ عنهم العلوم العقلية ، التي سماها علم الدراية.
- العلماء الذين أخذ عنهم العلوم النقلية التي سماها علم الرواية.
- الترتيب التاريخي وذلك بترتيب الأعلام ، وخاصة إذا كانوا من الحكام والولاة والقادة
- الروحيين حسب زمن ولايتهم وقيادتهم مثلما فعل ابن الصغير في كتابه " أخبار الأئمة
- الرستميين " ، إذ تناول فيه أئمة الإباضية في تيهرت حسب تولي كل منهم الحكم بتيهرت.
- الترتيب على الوفيات : وقد وجد في التراث الجزائري بطريقتين.
- الترتيب على سنة الوفاة ، بذكر وفيات كل سنة.
- الترتيب على وفيات القرون أي وفيات كل قرن على حدة .
- فالترتيب الأول : أعتمده الونشريسي في وفياته ، إذ بدأ بالترجمة لوفيات سنة 701 هـ

واستمر يترجم للأعلام في كل سنة حتى وصل وفيات سنة 912 هـ أي : أن تراجم الونشريسي تمتد على مدى أكثر من قرنين من الزمان.

والترتيب الثاني : نجده في " كتاب الوفيات " لأبن قنفذ إذ جعل تراجمه فئات حسب القرون ، وفيات المائة الأولى ، ثم وفيات المائة الثانية ، إلى وفيات المائة الثامنة ، وثلاثة أشخاص من وفيات المائة التاسعة. وقسم المئات إلى عشرات إذ جعل لكل عشرة في كل مائة فئة لوحدها فكانت مائة تضم عشرة مجموعات ، ولذلك يقول عن منهجه هذا : " ولندكر في الكتاب ما حضرني من وفيات الصحابة والعلماء والمحدثين ، ورتبته على المئين من السنين بوجه لم أسبق إليه وبالله التوفيق " ²⁴

وببدو أن الجديد الذي يقصد إليه ابن قنفذ في سبقه لغيره ، هو تقسيم المئات إلى عشرات فوفاة كل عشر سنوات ، لم يستعمل لدى كتاب التراجم - فيما أعلم - إلا عند ابن قنفذ وبهذا المنهج استطاع أن يضبط ذلك العدد الكثير من الأعلام الذين بلغ مجملهم 511

²⁴ كتاب المسند الحسن لابن مرزوق الخطيب مطبوع بتحقيق الاسبانية ماريّا خيسوس بغيرا ونشر بالشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983 م

ترجمة.

الترتيب على حروف المعجم :

من الكتاب الذين نهجوا هذه الطريقة ابن مريم في كتابه البستان ، إذ رتب فيه الأعلام بحسب الحرف الأول من أسمائهم من الحروف ابتداء بأحمد وخلوصا إلى يحيى مروراً ببقية الحروف ، ويقول سعيدوني في ذلك : رتب ابن مريم تراجمه حسب حروف الهجاء من أحمد إلى يحيى ، فجاءت متفاوتة في الطول²⁵

بناء التراجم

البناء أقصد به طريقة التعريف بالشخصيات حالة ، حالة أي العناصر التي تذكر للشخصية الواحدة وهذا ما يسميه بعض الباحثين المغاربة بالبناء " الداخلي للترجمة" ولكن هذا البناء لا يظهر بصورة مطردة في التراجم التي تم تناولها ، وأغلب هذه العناصر كانت بصورة عامة تدور على الاسم والنسب وتاريخ الميلاد والتخصص العلمي والتأليف والصفات الخلقية والخلقية والرحلة ولكن هذه العناصر ليست ثابتة في كل التراجم وإنما هي مذكورة بحسب مسار هذه الشخصية وصفاتها ، وبحسب عناية الكاتب ببعض الجوانب دون غيرها ، ومدى وفرة المعلومات المتعلقة بهذه الشخصيات ، وفي بعض التراجم يتم الاختصار على الاسم والنسب وتاريخ الوفاة ، والمولد في أحيان نادرة مثلما هو في وفيات الونشريسي ووفيات ابن قنفذ.

مصادر التراجم

درج بعض كتاب التراجم أن يذكروا المصادر التي نقلوا عنها واستفادوا منها وهذه المصادر متنوعة بين ما هو قديم وبين ما هو معاصر لكاتب الترجمة ، وبين ما هو كتابي وبين ما هو شفهي. وقد استعان كتاب التراجم من الجزائريين على غرار الكتاب في المشرق والأندلس من مصادر متنوعة بين كتب وكراسات وتقييدات كما نقلوا من أفواه الرجال ، وربما رحلوا إلى من يأخذون منه المعلومة.

²⁵ ابن قنفذ الوفيات ص 21

النماذج والنصوص

تختلف الكتب المعنية بالدراسة في التراجم الجزائرية في التوضيح بالنصوص الشعرية وكانت على نمطين.

- صنف لم يأت بنص واحد وخلا تماما منها ، مثل كتاب الوفيات لابن قنفذ وكتاب الوفيات للونشريس .

- صنف حفل بالنماذج والنصوص ونذكر كنموذج على ذلك " كتاب عنوان الدراية

للغبريني " و" كتاب البستان " لابن مريم.

فأما كتاب البستان فقد حفل بكثير من النماذج والنصوص ، مما يضيف الطابع الأدبي على الكتاب ، وكتاب عنوان الدراية يكاد يكون كتاب اختيارات شعرية نظرا لما فيه من قصائد كثيرة فيها نصوص طويلة جدا . وتتنوع هذه النماذج في الكتابين في عدة أغراض ، منها الحكمة والزهد ، والتصوف والأغراض التعليمية ، والذكريات ، والأحاجي والألغاز ، والمطارحات الشعرية.

وأخيرا فإنه يمكننا القول أن مؤرخي الجزائر وكتابها قد أدلوا بدلوهم في أدب التراجم والسير والأخبار ، وفيهم من بلغ في هذا اللون ما بلغه كبار الكتاب من المشاركة مثل ما كتبه التغري بردي والمقريري ، والشوكاني والذهبي ، وابن حجر.

هذا وثمة كتب أخرى في التراجم الجزائرية وهي كثيرة قد نذكر منها : كتاب سير الأئمة لأبي زكريا الورجلاني وكتاب عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس لعبد الله التنوخي وكتاب الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة وغيرها من المصنفات .

التهميش -

- 1 ينظر التراجم والسير . محمد عبد الغني حسن ، ط 3 ، القاهرة ، دار المعارف ، ص 5
- 2 عبد السلام بن سودة . دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، ط 1 ، بيروت 1988 ص 117
- 3 ناصر الدين سعيدوني ، من التراث التاريخي للغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت دار الغرب الإسلامي 1999 ص 15
- 4 ناصر الدين سعيدوني ، المرجع نفسه ص 15.
- 5 ناصر الدين سعيدوني ، المرجع نفسه ص 15.
- 6 ينظر معجم مشاهير المغاربة ، أبو عمران الشيخ ، جامعة الجزائر 1995 ص 410
- 7 كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المئة السابعة ، وهو كتاب مطبوع في لبنان ، تحقيق عادل نويهض ، 1979م وهو مطبوع بالجزائر 2007.
- 8 الغبريني ، عنوان الدراية ط 1 الجزائر دار البصائر 2007 ص 06.
- 9 ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ص 131.
- 10 ابن قنفذ القسنطيني ، الوفيات ، تح عادل نويهض ، لبنان ، دار الأوقاف الجديدة 1983 ، ص 17
- 11 الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس والمغرب مطبوع في الرباط ، وبيروت تح محمد حجي 1981 م ، مقدمة المحقق، ص هـ
- 12 الونشريسي ، كتاب وفيات الونشريسي ، منشور بدار نوابغ الفكر بتحقيق محمد بن يوسف القاضي بالقاهرة 2009 ، ص 3
- 13 أحمد الونشريسي ، المصدر نفسه ص 02.
- 14 ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ص 299.
- 15 ابن مريم ، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان مطبوع بالجزائر ، المطبعة الثعالبية 1908 م ، ص 04
- 16 ابن مريم المصدر نفسه ص 05
- 17 داليا عبد الستار الحلوجي ، كتب التراجم في التراث . ط 1 ، القاهرة كلية الآداب 2008 ص 91
- 18 الغبريني ، المصدر السابق ص 06
- 19 ابن مريم المصدر السابق ص 06
- 20 ابن قنفذ القسنطيني ، أنس الفقير وعز الحقير ، تح محمد الفاسي ، الرباط جامعة محمد الخامس 1965 ص 01
- 21 ابن مريم المصدر السابق ص 05
- 22 ناصر الدين سعيدوني المرجع السابق ص 14
- 23 ابن مريم المصدر السابق ص 05

- 24 كتاب المسند الحسن لابن مرزوق الخطيب مطبوع بتحقيق الاسبانية ماريا خيسوس بغيرا ونشر بالشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983 م
- 25 ابن قنفذ الوفيات ص 21

قائمة المراجع :

- محمد عبد الغني حسن ، (ب ت) ، التراجم والسير . ط 3 ، القاهرة ، دار المعارف (114ص)
- عبد السلام بن سودة . دليل مؤرخي المغرب الأقصى، 1988، ط 1، بيروت (415ص)
- ناصر الدين سعيدوني ، 1999، من التراث التاريخي للمغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت دار الغرب الإسلامي (703ص)
- أبو عمران الشيخ ، 1995 ، معجم مشاهير المغاربة ، ، جامعة الجزائر ص 410
- أحمد الغبريني ، 1979 م ، كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المئة السابعة ، وهو كتاب مطبوع في لبنان ، تحقيق عادل نويهض ، وهو مطبوع بالجزائر 2007 (119ص).
- ابن قنفذ القسنطيني، 1983 ، الوفيات ، تح عادل نويهض ، لبنان ، دار الأوقاف الجديدة (404ص)
- الوثريسي ، 1981 م ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس والمغرب مطبوع في الرباط ، ببيروت تح محمد حجي (513ص)
- الوثريسي ، 2009 ، كتاب وفيات ، منشور بدار نوابغ الفكر بتحقيق محمد بن يوسف القاضي بالقاهرة (172ص)
- ابن مريم ، 1908 م ، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان مطبوع بالجزائر ، المطبعة الثعالبية (300ص)
- داليا عبد الستار الحلوجي، 2008 ، كتب التراجم في التراث . ط 1 ، القاهرة كلية الآداب (516ص)
- ابن مرزوق الخطيب ، 1983 م ، كتاب المسند الحسن مطبوع بتحقيق الاسبانية ماريا خيسوس بغيرا ونشر بالشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر (507ص)